الفكر الاجتماعي

تمهيـد:

إن التفكير الاجتماعي في أحوال البشر موجود منذ وجد الإنساني على الأرض، غير أن التفكير يختلف في العصور القديمة عنه فيما بعدها، مثلما قد يختلف باختلاف المكان.

لذلك فإنه من الخطأ القول أن الفكر الاجتماعي وليد العصر الحديث، بل إنه أسبق من ذلك بكثير، حتى انه يمكن القول بأنه لم يكن هناك عصر من العصور ولا أمة من الأمم إلا وكان فيها من المفكرين الاجتماعيين الذين أدلوا بأفكارهم من أجل إصلاح المجتمع وتوعيته ومحاولة بناءه وربما العمل على تغيير الأوضاع السائدة فيه، لذلك فإن الحضارات القديمة كان لها إسهام كبير مثل الشرق القديم والعصور الإسلامية.

وكثير من المنصفين أثبتوا أن حضارات الشرق القديم (مصر الفرعونية، بلاد الرافدين، الصين القديمة، الهند القديمة) كان فيهم ما يمكن أن يسموا بالمفكرين الاجتماعيين، إضافة إلى الكثير من المسلمين القدامى كانت لهم العديد من المبادرات والإسهامات البارزة في الفكر الاجتماعي.

وإن مبادرات الفلاسفة والمصلحين والمفكرين القدامى لعبت دورا هاما في العلوم الاجتماعية الحديثة، رغم ما يقال أن الفكر الاجتماعي في مراحله الأولى كانت له صبغة مثالية ترمي إلى تحقيق مجتمع مثالي، وكان هدفه غالبا البحث عما يجب أن يكون عليه المجتمع. وتجدر الإشارة إلى أن بعض المفكرين والكتاب الغربيين المهتمين بالدراسات الفلسفية، كثيرا ما يعرجون على دراسة بدايات التفكير الأولى والفلسفات القديمة، فهم يعدونها أول صورة منظمة وصلت إليهم عن الفكر الإنساني المنظم في المسائل الإجتماعية.

ومع ذلك نجد من يقلل من أهمية الدراسات الاجتماعية الشرقية القديمة، التي سبقت الفلسفة اليونانية متجاهلين الفكر الشرقي فيصفه بعضهم بالضحالة والعقم، واتهام المفكرين الشرقيين القدامى بأن ظروف حياتهم وأوضاع بيئتهم الاجتماعية منعتهم من المساهمة في إعطاء أفكار عامة تناقش أصل النظم الاجتماعية، وأن الفكر الشرقي القديم لم يكن سوى فكر لاهوتي. لكن من جهة أخرى نجد من أكد على أن هناك فلسفات شرقية لا تقل في عمقها ودقتها وأصالتها عن فلسفات الغرب.

غير أن المهم في ذلك أنه يجب التأكيد على أن أي حضارة من الحضارات القديمة لم تقم من فراغ ودون جهود واجتهادات، بل هناك محاولات وإسهامات يمكن القول معها بأن الفكر الاجتماعي قد مر بمراحل متعددة كان الغرض منها تحقيق الرفاهية الاجتماعية ورسم نموذج للحياة الاجتماعية من قِبل أفراد في بعض المجتمعات اهتموا بدراسة الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ومحاولات لإيجاد الحلول لما يعترض المجتمع من صعوبات في الحياة اليومية.